قل لن ينفعكم الفرار

بقلم الشيخ
القائد
**أيمن
الظواهري**

تذكرت في هذه الأيام وأنا أتأمل في الأخبار التي ترد علينا من داخل مصر وخارجها عن الضجة المفتعلة التي يصطنعها الإعلام حول تصريحات البعض التي يكررونها ثم يتلقفها الإعلام ليضخمها وينفخ فيها ويضيف إليها الحواشي والشروح والتعليقات حول ما يسمى "بالمبادرة السلمية" في مصر.

أقول: تذكرت موقف الشيخ سيد قطب رحمة الله حينما طلبت منه أخته أن يكتب استرحاماً لعبد الناصر فقال قولته التي سجلت في تاريخ الدعوات نبراساً لمن بعده: (إن الأصبع التي تشهد لله بالوحدانية كل يوم خمس مرات يستحيل عليها أن تكتب استرحاماً لظالم)، وتعجبت كيف غاب هذا المعنى الواضح الجلي القوي عن أذهان من كانوا يزعمون أنهم من محبي سيد قطب ومن المتأثرين بأقواله، وكيف اختفى من تصريحاتهم.

وتعجبت أيضاً من حجم الافتراء الذي يمارس وتقلب فيه الحقائق وتُعظَّم فيه الصغائر وتُصغَّر فيه العظائم.

وتعجبت أكثر من جرأة هؤلاء الذين يدركون أن شباب الحركة الإسلامية يعرفون من هم، وماذا فعلوا، وإلام انتهوا.

ثم تأملت انقلاب المواقف والأقوال، من الحماسة الزائدة في الأقوال والنقد اللاذع وغمز الغير بأنهم متثاقلون مترددون إلى الخضوع المفرط للنظام واستجدائه حلاً، والتصفيق له كلما أفرج عن مجموعة من الأسرى، وتساءلت لماذا لا ينطقون بكلمة عن جرائم النظام التي لم تتوقف يوماً على الصعيدين الخارجي والداخلي، وعن سجونه، التي تفغر أفواهها لتبتلع كل يوم العشرات، وعن الفساد الذي تغرق فيه مصر إلى أذنيها والذي لم يستطع صحفيو الحكومة أنفسهم أن يتكتموه.

وتعجبت فيما تعجبت منه من برود هؤلاء وصفاقتهم وهم يتكلمون عن تحرير القدس عبر الاستسلام للنظام

مـبرِّرين بـذلك استسـلامهم، وهـم مـتيقنون أن النـاس يضحكون ملء أشداقهم من هذا التهريج.

وإذا كـان مـا ذكرنـا هـو بعـض أحـوال المناضـلين المجاهدين الثائرين الذين كانت دماؤهم تغلي كالمراجل ثم أصبحت باردة كالجليد بعـد أن عاشـوا الحضـارة والمدنيـة، وتمتعوا بالاستقرار تحت مظلة اللجوء السياسـي، وضـمان النظام الدولي الجديـد، وشـهامة أخلاق أوروبـا المتحضـرة، ونزاهة حضارة الغرب وماديته.

<u>أقول:</u> إذا كان ذلك هو حال من يدَّعون القيـادة فـي الجهاد أو يُوصفون بها فلا عجـب مـن أحـوال مـن يزعمـون أنهم وسطاء المجاهـدين ووكلاؤهـم، ممـن ارتضـوا العيـش والحرية والحركة تحت مظلة النظام المصري.

لذا لم يكن غريبـاً أن يكتـب أحـدهم - بلا حيـاء - بـأنه يطالب بعـودة نشـاط الحركـة الجهاديـة علنيـاً تحـت سـمع الحكومــة وبصــرها - لكــي ترعاهــا وتكلأهــا - وبضــمانه ووساطته ومبادراته وتعهداته.

ولم يكن غريباً أيضـاً أن يصـدر منهـم مـا يصـدر وهـم يتحركـون فـي حريـة ويتصـلون بوكـالات الأنبـاء، ويقـابلون الصحفيين، ويدلون بالأحاديث للقنوات الفضائية، ويعقـدون في مكاتبهم المؤتمرات الصحفية، بـل ويروحـون ويجيئـون عبر بوابات السجون المغلقة منذ ما يزيد على أربع سـنوات ينشرون دعوة الاستسـلام والإرجـاف والتثـبيط، ويحصـلون من المعتقلين البؤساء المقهورين على بيانات التراجع عــن الجهاد، ثـم يطيـرون بهـا إلـى وكـالات الأنبـاء لتكـون مـدار حديث الصحف والمجلات والإذاعات.

إن ظهــور هــؤلاء المــتراجعين الناكصــين وأولئــك المخـذلين المرجفيـن أمـر عرفـه تاريـخ الـدعوات وسـيرة الرسل والصالحين عبر مراحل التاريخ.

<u>ونحن في هذا المقام؛</u> نحذر هؤلاء وأمثـالهم مـن أن يكــون حــالهم كحــال الطوائــف المــترددة المذبذبــة المتسارعة إلى الفرار من ميدان الجهـاد الـتي حكـى عنهـا القرآن الكريم، ونذكِّرهم بحـال الطائفـة الثابتـة المطمئنـة الباقية على عهدها مع ربهـا والموفيـة بميثاقهـا مـع خالقهـا التي لم تزعزعها الحوادث ولم تهزها الابتلاءات ولـم تزدهـا الشدائد إلا إيماناً وتسليماً.

{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا * ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً}.

وها هي سنة الله التي لا تتخلف، ووعده الذي لا يتبدل بتمكينه لعباده الثابتين الصابرين المرابطين.. {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا * وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا}.

نعم... إنها نفس القصة تتكرر ونفس السنة تعاد ولا تتبدل، وكما تتكرر نفس القصة فسيتكرر أيضاً مصير أطرافها، فليحذر كل امرئ من مصير السابقين من المخذلين وليَسْعَ جاهداً إلى المصير الذي يرجوه المجاهدون وإلى أقوم طريق.

طريق تعب فيه آدم وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب}.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عن مجلة المجاهدون

منبر التوحيد والجهاد

* * *